

سماع أصوات المعذبين في القبور

دراسة عقدية

د. علي بن موسى الزهراني(*)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، وترك الناس على المحجة البيضاء، ليلُها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وبعد:

فإن عذاب القبر حق، والإيمان به واجب، وهو من الإيمان بالغيب، ومن الإيمان باليوم الآخر.

(*) جامعة الملك سعود بالرياض - كلية التربية - الدراسات الإسلامية.

وهناك مسألة مهمة متعلقة بعذاب القبر، تثار بين الحين والآخر، وهي هل يمكن للأحياء أن يسمعوا أصوات المعذبين في قبورهم؟ وقد كثر السؤال عن هذه المسألة بل والخوض فيها أحيانًا، وقد يتحدث عنها البعض من غير علم دون الرجوع إلى الأدلة من الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة لتلك الأدلة، ولأجل ذلك رأيت من المناسب بحث هذه المسألة، وبيان الحق فيها، وذلك بالأدلة من الكتاب والسنة، وبيان أقوال سلف الأمة في هذه المسألة.

مشكلة البحث:

تدور مشكلة البحث حول سماع الأحياء لأصوات المعذبين في قبورهم مما نجده في كتب التاريخ، ووقائع تحدث للناس، وما يشهد به الوعاظ في القديم، والحديث لتخويف العصاة وزجرهم، وما يثار بين الحين والآخر في مواقع الإنترنت(١) من وقائع تدل على سماع أصوات المعذبين في قبورهم، فعذاب القبر من أمور الغيب، فكيف الجمع بين أمر الغيب وبين تلك الوقائع التي رآها وسمعها البعض من الناس لأولئك الذين يعذبون في قبورهم، وقد رواها العلماء الثقات.

حدود البحث:

سيكون البحث عن "سماع الأحياء لأصوات المعذبين في قبورهم"؛ أما سماع الأموات للأحياء فلعلي أتناوله في بحث آخر إن شاء الله.

أهداف البحث:

١– بيان الحكم الشرعي في هذه المسألة العقدية المهمة.

٢– بيان أدلتها من الكتاب والسنة نفيًا، وإثباتًا.

---

(١) مثل قصة "الروس" التي أثارها الشيخ الزنداني، وما حدث في سيبريا من سماع أصوات لأناس يعذبون تحت الأرض وذلك من قبل فريق جيولوجي، وقد ذكر الزنداني أنه تحقق من ذلك حيث ظهر تسجيل للشيخ حول هذا الموضوع تضمن تلك الأصوات في سيبريا وهذا التسجيل قد أثار تساؤلات الكثير من المسلمين حول إمكانية ذلك. (وهذا موجود عبر شبكات الإنترنت).

٣- بيان أقوال أهل العلم المتقدمين والمعاصرين.

٤- بيان الضوابط الشرعية في القصص والأخبار التي تثار حول هذه المسألة وموقف المسلم فيها.

أسئلة البحث:

١- ما هو الحكم الشرعي في مسألة سماع أصوات المعذبين في قبورهم؟

٢- ما هي الأدلة على سماع أصوات المعذبين في قبورهم؟

٣- ما هي أقوال أهل العلم المتقدمين والمعاصرين في هذه المسألة؟

٤- ما هي الضوابط الشرعية في قصص المعذبين في قبورهم وما موقف المسلم منها؟

منهج البحث:

سيعتمد البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك بذكر الشواهد من القرآن والسنة، وبيان وجه الاستشهاد منها، وذكر الأمثلة من الواقع.

إجراءات البحث:

١- حصر الأدلة، والأقوال في مسألة سماع أصوات المعذبين في قبورهم.

٢- عزو الآيات، وتخريج الأحاديث.

٣- توثيق تلك الأقوال من كتب أهل العلم.

الدراسات السابقة:

لا يوجد من أفرد هذا الموضوع ببحث مستقل في حد علمي إلا ما يوجد من أقوال يسيرة ومتفرقة مبثوثة في كتب أهل العلم.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من: مقدمة، وتمهيد، وثمانية مباحث، وخاتمة.

المقدمة: وتشتمل على أهمية البحث، وسبب اختياره، وخطة البحث.

التمهيد: إثبات عذاب القبر في الكتاب، والسنة.

المبحث الأول: إثبات الأصوات في القبور، وحقيقة سماعها.

المبحث الثاني: إثبات سماع أصوات المعذبين في قبورهم.

المبحث الثالث: سماع النبي ﷺ لأصوات المعذبين.

المبحث الرابع: سماع البهائم لأصوات المعذبين.

المبحث الخامس: سماع غير النبي ﷺ لأصوات المعذبين.

المبحث السادس: الحكمة من السماع وعدمه.

المبحث السابع: أمثلة على سماع أصوات المعذبين.

المبحث الثامن: أقوال، وفتاوى أهل العلم المعاصرين في سماع أصوات المعذبين.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

هذا والله أعلم وأحكم وصلى الله وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وقد اجتهدت في هذا البحث وفي تحقيق مسائله في ضوء الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة والمحققين من أهل العلم سائلاً الله أن ينفع به وأن يقينا وإخواننا المسلمين من فتنة القبر وعذابه.

د/ علي بن موسى الزهراني
جامعة الملك سعود بالرياض
كلية التربية – الدراسات الإسلامية
٠٥٥٤٦٠٠٧١١
dr-ali-m-m@maktoob.com

* * *

التمهيد: ثبوت عذاب القبر، وأدلته من الكتاب، والسنة

إن من الإيمان باليوم الآخر: التصديق بما يكون في القبر من عذاب ونعيم، وقد دلت الآيات على ذلك "وتواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا يتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول. فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا"(١).

ولا شك أن عذاب القبر يكون للبدن وللروح جميعًا، يقول ابن أبي العز الحنفي: "عذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب مفرده عن البدن ومتصلة به وأعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه، قبر أو لم يقبر، أكلته السباع أو احترق حتى صار رماداً ونسف في الهواء، أو صلب أو غرق في البحر – وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور، وما ورد من إجلاسه واختلاف أضلاعه ونحو ذلك – فيجب أن يفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلو ولا تقصير"(٢).

أ- أدلة عذاب القبر من القرآن الكريم

١- قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾(٣).

(١) شرح العقيدة الطحاوية: ص٤٥٠.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية: ص٤٥١.

(٣) الأنعام: آية ٩٣.

يقول القرطبي في تفسير هذه الآية: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولو ترى، يا محمد، حين يغمر الموت بسكراته هؤلاء الظالمين العادلين بربهم الآلهة والأنداد، والقائلين: ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾، والمفترين على الله كذبًا، الزاعمين أنّ الله أوحى إليه ولم يوحَ إليه شيء، والقائلين: ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾، فتعاينهم وقد غشيتهم سكرات الموت، ونزل بهم أمر الله، وحان فناء آجالهم، والملائكة باسطو أيديهم يضربون وجوههم وأدبارهم"(١).

وهناك توجيه قوى ذكره الشيخ الفوزان حيث قال: "هذا خطاب لهم عند الموت، وقد أخبرت الملائكة وهم الصادقون أنهم حينئذ يجزون عذاب الهون، ولو تأخر عنهم ذلك إلى انقضاء الدنيا، لما صح أن يقال لهم: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾، فدل على أن المراد به عذاب القبر"(٢).

٢- وقال الله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ، يَوْمَ لا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً وَلا هُمْ يُنصَرُونَ، وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾(٣).

يقول الطبري قوله: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ﴾ اختلف أهل التأويل في العذاب الذي توعد الله به هؤلاء الظلمة من دون يوم الصعقة، فقال بعضهم: هو عذاب القبر .... عن ابن عباس، وقوله: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ﴾ يقول: عذاب القبر قبل عذاب يوم القيامة"(٤).

فالمراد يراد به "عذابهم في البرزخ، وهو أظهر؛ لأن كثيراً منهم مات ولم يعذب في الدنيا، وقد يقال - وهو أظهر -: إن من مات منهم؛ عُذِّبَ في البرزخ، ومن

(١) جامع البيان للطبري ١١/٥٣٧ .

(٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد: صالح الفوزان ص٢٧٥ .

(٣) الطور آية: ٤٥ - ٤٧ .

(٤) جامع البيان للطبري ٢٢/٤٨٤ .

بقي منهم؛ عُذِّبَ في الدنيا بالقتل وغيره؛ فهو وعيد بعذابهم في الدنيا وفي البرزخ"(١).

٣- وقال تعالى: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ، النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾(٢).

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ وهو: الغرق في اليم، ثم النقلة منه إلى الجحيم. فإن أرواحهم تعرض على النار صباحًا ومساء إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار؛ ولهذا قال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ أي: أشده ألمًا وأعظمه نكالاً، وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور"(٣).

وهنا ذكر عذاب الدارين ذكرًا صريحًا لا يحتمل غيره، فدل على ثبوت عذاب القبر(٤).

ب- أدلة عذاب القبر من السنة النبوية

إن أحاديث عذاب القبر كثيرة متواترة عن النبي ﷺ، ومنها:

١- جاء في "الحديث المتفق عليه" عن ابن عباس رضي الله عنهما: "أن النبي ﷺ مر بقبرين، فقال إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير أما أحدهما؛ فكان لا يستبرئ من البول، وأما الآخر؛ فكان يمشي بالنميمة ثم دعا بجريدة، فشقها نصفين، فقال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا"(٥).

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد: صالح الفوزان ص٢٧٥.

(٢) غافر آية: ٤٥ - ٤٦.

(٣) تفسير ابن كثير ٧/١٤٥.

(٤) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد: صالح الفوزان، ص٢٧٥.

(٥) صحيح البخاري ٢/٢٠٦ رقم ١٣٢، وصحيح مسلم ١٥٥ رقم ٦٠٣.

يقول ابن حجر: "وفي هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدم إثبات عذاب القبر"(١).

٢- وفي عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: "بينما رسول الله ﷺ في حائط لبني النجار على بغلة له، ونحن معه؛ إذ حادت به، فكادت تلقيه، فإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة، فقال: من يعرف أصحاب هذه القبور؟ فقال رجل: أنا، قال: فمتى مات هؤلاء؟ قال: في الإشراك، فقال: إن هذه الأمة تبتلي في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا؛ لدعوات الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه"(٢) الحديث.

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير؛ فليتعوذ بالله من أربع من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال"(٣).

٤- وعن أبي أيوب رضي الله عنه قال: "خرج النبي ﷺ وقد وجبت الشمس، فسمع صوتًا، فقال يهود تعذب في قبورها"(٤).

٥- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: "دخلت على عجوز من عجائز يهود المدينة، فقالت إن أهل القبور يعذبون في قبورهم قالت فكذبتها، ولم أنعم(٥)، أن أصدقها قالت فخرجت، ودخل علي رسول الله ﷺ، فقلت يا رسول الله! إن عجوزًا من عجائز يهود أهل المدينة دخلت فزعمت أن أهل القبور يعذبون في قبورهم؟ قال صدقت؛ إنهم يعذبون عذابًا تسمعه البهائم كلها قالت فما رأيته بعد في صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر"(٦).

---

(١) فتح الباري لابن حجر ١/٣٤١.

(٢) صحيح مسلم، ص١٣٦٩ رقم ٧٣١٥.

(٣) صحيح مسلم، ص٢٦٧ رقم ١٢٦٥.

(٤) صحيح البخاري ٢/٢٠٥ رقم ١٢٩، صحيح مسلم ص١٣٦٩ رقم ٧٣١٧.

(٥) (لم أنعم) أي لم تطلب نفسي أن أصدقهما ومنه قولهم في التصديق نعم (انظر: شرح النووي على مسلم ٢/٣٦٣).

(٦) صحيح البخاري ٢/٢٠٤ رقم ١٢٦، صحيح مسلم، ص٢٦٦ رقم ١٢٥٩.

يقول النووي: "حاصل أحاديث الباب استحباب التعوذ بين التشهد والتسليم من هذه الأمور، وفيه إثبات عذاب القبر وفتنته، وهو مذهب أهل الحق خلافًا للمعتزلة"(١).

* * *

المبحث الأول

إثبات الأصوات في القبور، وحقيقة سماعها

إن وجود أصوات للمعذبين في قبور حقيقية لا مرية فيها لتضافر الأدلة في ذلك فقد ثبت في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ من حديث أبي أيوب الأنصاري أنه قال: خرج النبي ﷺ وقد وجبت الشمس فسمع صوتًا فقال: "يهود تعذب في قبورها" متفق عليه(٢).

وجاء في المسند عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ نخلاً لبني النجار فسمع أصوات رجال من بني النجار ماتوا في الجاهلية يعذبون في قبورهم، فخرج رسول الله ﷺ فزعًا، فأمر أصحابه أن يتعوذوا بالله من عذاب القبر(٣). وهناك أدلة أخرى سبق ذكرها(٤)، فالرسول ﷺ هنا سمع أصوات اليهود وهم يعذبون في قبورهم، وكذلك سمع أصوات بني النجار الذين ماتوا في الجاهلية، وهذا يدل على أن هناك أصوات حقيقية تنبعث من القبور لأولئك المعذبين نسأل الله العافية.

وهناك دلالة أخرى ألا وهي أن تلك الأصوات تسمع من قبل الأحياء، وقد جاء أيضًا عنه ﷺ في الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ في نخل لنا، نخل أبي طلحة فمر رسول الله ﷺ بقبر فقام حتى مر

(١) شرح النووي على مسلم ٢/٣٦٣ .

(٢) صحيح البخاري ٢/١٢٤، وصحيح مسلم، باب ١٧ رقم ٦٩، وسنن النسائي ١١٣ .

(٣) مسند الإمام أحمد، رقم ١٤٥١٧ .

(٤) انظر ص١٤٧ من البحث وما بعدها.

إليه بلال فقال: "ويحك يا بلال هل تسمع ما أسمع؟ فقال صاحب القبر يعذب" قال فسأل عنه فوجد يهوديًا(١).

* * *

المبحث الثاني
سماع النبي ﷺ لأصوات المعذبين

دلت الأحاديث الصحيحة على سماع الرسول ﷺ لأصوات المعذبين وقد أعطاه الله القدرة على سماعهم في قبورهم(٢)، ومن الأدلة على ذلك:

١- روى مسلم في صحيحه عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: "بينما النبي ﷺ في حائط لبني النجار، على بغلة له، ونحن معه، إذ حادت به(٣)، فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة، فقال: من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟ فقال رجل: أنا قال: فمتى مات هؤلاء؟ قال: ماتوا في الإشراك، فقال: إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا أن لا تدافنوا(٤)، لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه"(٥).

٢- وجاء في البخاري، ومسلم، عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: "خرج رسول الله ﷺ بعدما غربت الشمس، فسمع صوتًا، فقال: يهود تعذب في قبورها"(٦).

٣- وروى البخاري ومسلم أيضًا عن ابن عباس رضي الله عنه قال: مر رسول الله

---

(١) رواه أحمد في المسند ٣/١٥١، وقال الهيثمي في "المجمع" ٣/٥٦ رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) انظر اليوم الآخر - القيامة الصغرى، لعمر سليمان الأشقر ص٥٢، وانظر: الرحيل، تأملات لما في الموت والقبر من العظات، لمحمد رياض الأثري ص١٦٧.

(٣) حادت به: أي مالت عن الطريق ونفرت (انظر: شرح النووي على مسلم ٩/٢٥٠).

(٤) أي مخافة ألا تدافنوا.

(٥) صحيح مسلم ٤/٢١٩٩.

(٦) صحيح البخاري ٢/٢٠٥ رقم ١٢٩، صحيح مسلم ص١٣٦٩ رقم ٧٣١٧.

ﷺ على قبر فقال: "إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله[1]، فدعا بعسيب من رطب فشقه اثنين ثم غرس على هذا واحداً وعلى هذا واحداً، ثم قال: "لعل أن يخفف عنهما ما لم ييبسا"[2]. فهذه أدلة واضحة في سماعه ﷺ لأصوات المعذبين.

يقول البيهقي: "وفي كل ذلك دلالة لمن آمن بالله ورسوله محمد ﷺ على جواز تعذيب من انتقضت بنيته في رؤيتنا أو صار رميماً في أعيننا عذاباً يسمعه من أراد الله سبحانه أن يسمعه دون من لم يرد ويشاهده من أراد الله تعالى أن يشاهده دون من لم يرده فقد سمع رسول الله ﷺ أصوات من يعذب منهم ولم يسمعها من كان معه من أصحابه ورأى حين صلى صلاة الخسوف من يجر قصبه في النار ومن يعذب في السرقة والمرأة التي كانت تعذب في الهرة وقد صاروا في قبورهم رميماً في أعين أهل زمانه ولم ير من صلى معه من ذلك ما رأى رسول الله ﷺ في خبر صحيح عنه في منامه – ورؤيا الأنبياء صلوات الله عليهم وحي – جماعة يعذبون في مواقع متفرقة في جرائم مختلفة ولعلهم صاروا رميماً في قبورهم في أعيننا"[3].

* * *

المبحث الثالث

سماع البهائم لأصوات المعذبين

أكثر الأحاديث التي وردت عن عذاب القبر فإنها دلت على سماع البهائم والدواب لأصوات المعذبين لأنه لما كانت حكمة التكليف وكذلك مشروعية التدافن منفية في حق البهائم فإنها سمعت ذلك وأدركته ولذلك حادت البغلة

(١) لا يستتر من بوله، أي: لا يتوقاه (انظر إثبات عذاب القبر للبيهقي ص١٠١).

(٢) صحيح البخاري، ٢/٢٠٦، رقم ١٣٢، وصحيح مسلم ١٥٥ رقم ٦٠٣ .

(٣) إثبات عذاب القبر، للبيهقي ص٨٤ – ٨٥ .

برسول الله ﷺ وكادت تلقيه لما مر بقبر صاحبه يعذب ومن تلك الأدلة الكثيرة:

١- في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: "دخلت على عجوز من عجائز المدينة فقالتا لي إن أهل القبور يعذبون في قبورهم، فكذبتهما، ولم أنعم أن أصدقهما، فخرجتا ودخل على النبي – ﷺ – فقلت له يا رسول الله إن عجوزين وذكرت له، فقال: "صدقتا، إنهما يعذبون عذابًا تسمعه البهائم كلها". فما رأيته بعد في صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر"(١).

٢- وعند ابن حبان عن أم مبشر قالت دخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا في حائط من حوائط بني النجار ماتت فيه قبور مهم وهم يقول استعيذوا بالله من عذاب القبر فقلت يا رسول الله وللقبر عذاب؟ قال: نعم، وإنهم ليعذبون في قبورهم تسمعه البهائم"(٢).

٣- وفي صحيح مسلم عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: بينما النبي ﷺ في حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه، إذ حادت به، فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة، أو خمسة، أو أربعة، فقال: من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟ فقال: رجل: أنا قال: فمتى مات هؤلاء؟ قال: ماتوا في الإشراك، فقال: إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا أن لا تدافنوا، لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه"(٣).

يقول القرطبي: "قال علماؤنا رحمة الله عليهم: وإنما حادت البغلة لما سمعت من صوت المعذبين، وإنما لم يسمعه من يعقل من الجن والإنس لقوله ﷺ: "لولا أن تدافنوا" الحديث، فكتمه الله سبحانه وتعالى عنا حتى نتدافن بحكمته الإلهية ولطائفه الربانية؛ لغلبة الخوف عند سماعه فلا نقدر على القرب من القبر للدفن،

(١) صحيح البخاري ٢/٢٠٤ رقم ١٢٦، صحيح مسلم، ص٢٦٦ رقم ١٢٥٩ .

(٢) صحيح ابن حبان ٧/٣٨٢ رقم ٣٩٥ .

(٣) صحيح البخاري ٢/٢٠٧ رقم ١٣٤

ويهلك الحي عند سماعه إذ لا يطاق سماع شيء من عذاب الله في هذه الدار؛ لضعف هذه القوى، ألا ترى أنه إذا سمع الناس صعقة الرعد القاصف، أو الزلازل الهائلة هلك كثير من الناس؟ وأين صعقة الرعد من صيحة الذي تضربه الملائكة بمطارق الحديد التي يسمعها كل شيء يليه؟ وقد قال رسول الله ﷺ في الجنازة: "ولو سمعها إنسان لصعق"(١).

قلت: هذا وهو على رؤوس الرجال من غير ضرب ولا هوان، فكيف إذا حل به الخزي والنكال، واشتد عليه العذاب والوبال؟ فنسأل الله معافاته، ومغفرته، وعفوه، ورحمته، بمنه وكرمه(٢).

وذكر أهل العلم أيضًا: أن السبب في ذهاب الناس بدوابهم إلى قبور اليهود والنصارى والمنافقين وغيرهم أن الخيل إذا سمعت أصوات المعذبين فإنها تفزع ويحدث لها حرارة تذهب عنها مرض "المغل" وهو داء معروف يصيب الخيل، فيظن أهل الجهل أن تلك القبور لأناس أولياء وأهل صلاح.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "قال بعضهم ولهذا السبب يذهب الناس بدوابهم إذا مغلت" أي: أصابها وجع في بطنها بسبب أكلها التراب مع البقل" قال بعضهم: ولهذا السبب يذهب الناس بدوابهم إذا مغلت إلى قبور اليهود والنصارى والمنافقين كالإسماعيلية والنصيرية وسائر القرامطة من بني عبيد وغيرهم الذين بأرض مصر والشام وغيرهما فإن أهل الخيل يقصدون قبورهم لذلك كما يقصدون قبور اليهود والنصارى والجهال تظن أنهم من ذرية فاطمة وأنهم من أولياء وإنما هو من هذا القبيل فقد قيل إن الخيل إذا سمعت عذاب القبر حصلت لها من الحرارة ما يذهب بالمغل"(٣).

(١) صحيح البخاري ٢ / ٢٠٧ رقم ١٣٤ .
(٢) التذكرة للقرطبي ص٤٠٨ .
(٣) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٤ / ٢٨٧ .

المبحث الرابع
سماع غير النبي ﷺ لأصوات المعذبين

سبق الحديث أن الرسول ﷺ قد أسمعه الله تعالى أصوات المعذبين في قبورهم وسبق بيان الأدلة على ذلك أيضًا وفي هذا المبحث سيكون الحديث عن سماع غير النبي ﷺ هل بالإمكان أن يسمع أصوات المعذبين غيره ﷺ؟ وهذا التساؤل هو سبب اختياري لهذا البحث وقد أشرت إلى ذلك في المقدمة وأن هذا الأمر أثار تساؤلا واسعًا بين الناس فهناك المثبت لذلك وهناك المنفي، فالمنفي يرى أن ذلك من أمور الغيب التي لا يمكن أن يطلع عليها أحد إلا من أراد الله أن يطلعه كالأنبياء عليهم السلام، ويرى أهل هذا القول أن ظاهر الأدلة من السنة الصحيحة تعضدهم في ذلك لقوله ﷺ:

"لولا أن تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع"(١).

وقوله ﷺ: "إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، حتى أنه يسمع قرع نعالهم. آتاه ملكان، فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ – لمحمد – فأما المؤمن فيقول: "أشهد أنه عبد الله ورسوله"، فيقال انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة، فيراهما جميعًا، ويفسح له في قبره سبعون ذراعًا، ويملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثون وأما الكافر أو المنافق، فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال له: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطراق من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقيلين، ويضيق عليه في قبره حتى تختلف أضلاعه"(٢).

وأما الذين يرون أن البعض من الناس قد يسمع أصوات المعذبين وقد يطلعهم الله على ذلك لحكم كثيرة منها العبرة والاتعاظ، فقال: إن الأدلة الشرعية لا تمانع

(١) صحيح مسلم ٤/٢١٩٩ رقم ٢٨٦٧.

(٢) صحيح البخاري ٢/٢٠٥ رقم ١٢٨.

من ذلك وأنه ليس من المحال، وأن الأصل هو عدم السماع ولكن قد يطلع الله من شاء من عباده على ذلك، ولاشك أن الأئمة الأعلام الثقات هم الذين تحدثوا بذلك وذكروا وقائع تدل عليه.

يقول الشيخ عمر الأشقر: "لم يزل بعض الناس يتحدثون عن سماعهم للمعذبين في قبورهم، ومن هؤلاء ثقات أعلام لا مطعن في دينهم وأمانتهم"(١).

ولعل الجمع بين الأدلة وبين ما حدث من وقائع ثابتة وصحيحة أن يقال أن الأصل هو عدم السماع وأن العذاب لا يسمعه الثقلان كما دلت الأدلة على ذلك ولكن قد يسمعه البعض من الناس، وذلك للعبرة والاتعاظ ولحكم لا نعلمها، بل إن البعض من أهل العلم يرى أن ذلك حدث في زمن النبي ﷺ يقول ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى: "وقد كشف لمن يشاء من عباده من أهل القبور ونعيمهم وقد وقع بعض ذلك في زمن النبي ﷺ ووقع بعده كثيراً"(٢).

وقاله أيضاً في موضع آخر بعد أن ساق الأحاديث في عذاب ونعيم القبر: "وقد اطلع الله من شاء من عباده على كثير مما ورد في هذه الأحاديث حتى سمعوه وشاهدوه عياناً"(٣).

ثم ساق رحمه الله تعالى بعض الحوادث التي تدل على ذلك وهي كثيرة(٤).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وقد انكشف لكثير من الناس ذلك حتى سمعوا صوت المعذبين في قبورهم، ورأوهم بعيونهم يعذبون في قبورهم في آثار كثيرة معروفة، ولكن لا يجب ذلك أن يكون دائماً على البدن في كل وقت، بل يجوز أن يكون حال دون حال"(٥).

---

(١) اليوم الآخر – القيامة الصغرى، للأشقر ص٥٣ .

(٢) أهوال القبور، لابن رجب ص٦١ .

(٣) أهوال القبور، لابن رجب ص١٥ .

(٤) انظر أهوال القبور، ص١٥ وما بعدها.

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤/ ٢٩٦ .

المبحث الخامس
الحكمة من السماع وعدمه

سبق الحديث أن الأصل في أصوات المعذبين هو الستر وعدم السماع وذلك لحكم كثيرة وأن الله يطلع من يشاء من عباده لحكمة أيضاً.

يقول ابن القيم: "فإذا شاء الله سبحانه أن يطلع على ذلك بعض عبيده أطلعه وغيبه عن غيره، إذا لو أطلع العباد كلهم لزالت كلمة التكليف والإيمان بالغيب، ولما تدافن الناس كما في الصحيحين عنه صلى الله عليه وآله وسلم: "لولا أن تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع"(١).

ولما كانت هذه الحكمة منفية في حق البهائم، سمعت ذلك وأدركته كما حادت برسول الله ﷺ بغلته وكادت تلقيه لما مر بمن يعذب في قبره"(٢).

إذن فالحكمة من أن الأصل هو الستر تتجلى في أمور عديدة منها:

١– لو أطلع الله العباد كلهم على عذاب القبر أو نعيمه لزالت كلمة التكليف والإيمان بالغيب.

يقول الشيخ صالح الفوزان: "ومن حكمة الله أيضاً أن ما يجري عن الميت في قبره لا يحس به الأحياء لأن الله تعالى جعله من الغيب ولو أظهره لفاتت الحكمة المطلوبة وهي الإيمان بالغيب"(٣).

ويقول الشيخ ابن عثيمين: "أنه لو كان ظاهراً – أي عذاب القبر – لم يكن للإيمان به مزية لأنه يكون مشاهداً لا يمكن إنكاره، ثم إنه قد يحمل الناس على أن يؤمنوا كلهم لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾(٤)، فإذا

---

(١) صحيح مسلم ٤/ ٢١٩٩ رقم ٢٨٦٧ .

(٢) المصدر السابق، الروح لابن القيم ص٨٩، وانظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص١٠٤ .

(٣) المختارات السلفية من شروح العقيدة الواسطية ٣/ ٤٠ .

(٤) غافر آية ٨٤ .

رأى الناس هؤلاء مدفونين وسمعوهم يتصارخون آمنوا وما كفر أحد لأنه أيقن بالعذاب، ورآه رأي العين فكأنه نزل به، وحكم الله سبحانه وتعالى عظيمة، والإنسان المؤمن حقيقة هو الذي يجزم بخبر الله أكثر مما يجزم بما شاهده بعينيه؛ لأن خبر الله عز وجل لا يتطرق إليه احتمال الوهم ولا الكذب، وما تراه بعينيك يمكن أن تتوهم فيه، فكم من إنسان شهد أنه رأى الهلال، وإذا هي نجمة، وكم من إنسان شهد أنه رأى الهلال وإذا هي شعرة بيضاء على حاجبه وهذا وهم، وكم من إنسان يرى شبحًا ويقول: هذا إنسان مقبل، وإذا هو جذع نخلة، وكم من إنسان يرى الساكن متحركًا والمتحرك ساكنًا، لكن خبر الله لا يتطرق إليه الاحتمال أبداً، نسأل الله لنا ولكم الثبات، فخبر الله بهذه الأمور أقوى من المشاهدة، مع ما في الستر من المصالح العظيمة للخلق. والله أعلم"(١).

ويقول الشيخ السعدي أيضًا: "ومن حكمة الله أن نعيم البرزخ وعذابه لا حس به الإنس والجن بمشاعرهم، لأن الله تعالى جعله من الغيب، ولو أظهره لفاتت الحكمة المطلوبة"(٢).

٢- لو سمع الناس كلهم أصوات المعذبين من أهل القبور لما تدافنوا ولفزعوا ولذلك جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: "إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون أطت(٣) السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضعًا جبهته ساجداً لله، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات(٤) تجأرون إلى الله"(٥).

يقول المباركفوري في شرحه لهذا الحديث: "قوله: (لو تعلمون ما أعلم) أي

(١) مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين رحمه الله ٢ / ٣٢ .

(٢) المختارات السلفية من شروح العقيدة الواسطية ٣ / ٨ .

(٣) أطت: الأطيط هو: صوت الرحل والإبل من ثقل أحمالها والمراد كثرة الملائكة.

(٤) الصعدات: جمع صعد، وصعد: جمع صعيد كطريق وطرق وطرقات.

(٥) سنن الترمذي ٩ / ٩٠ رقم ٢٤٨٢، وسنن ابن ماجة ١٢ / ٣٨٤ رقم ٤٣٣٠ .

من عقاب الله للعصاة وشدة المناقشة يوم الحساب لضحكتم جواب لو (ولبكيتم كثيرًا) أي بكاء كثيرًا أو زمانًا كثيرًا أي من خشية الله ترجيحًا للخوف على الرجاء وخوفًا من سوء الخاتمة، قال الحافظ والمراد بالعلم هنا ما يتعلق بعظمة الله، وانتقامه ممن يعصيه، والأهوال التي تقع عند النزع والموت وفي القبر ويوم القيامة ومناسبة كثرة البكاء وقلة الضحك في هذا المقام واضحة والمراد به التخويف"(١).

فتلك هي الحكمة في أن الأصل هو الستر ولكن إطلاع الله تعالى بعضًا من عباده على أصوات المعذبين لا ينافي الأصل ولا يتعارض من تلك الحكمة بل هو من الحكمة أيضًا فالله تعالى حكيم ومن أسمائه الحكيم فإطلاع البعض من عباده على أصوات المعذبين فيه عبرة للناس أيضًا، وفيه زيادة يقين للناس، وفيه تثبيت للمؤمنين.

٣- أن الله – سبحانه وتعالى – أرحم الراحمين فلو كنا نطلع على عذاب القبور لتنكد عيشتنا، لأن الإنسان إذا أطلع على أن أباه، أو أخاه، أو ابنه، أو زوجه، أو قريبه يعذب في القبر ولا يستطيع فكاكه، فإنه يقلق ولا يستريح، وهذه من نعم الله سبحانه(٢).

٤- أنه فضيحة للميت فلو كان هذا الميت قد ستر الله عليه ولم نعلم عن ذنوبه بينه وبين ربه عز وجل ثم مات وأطلعنا الله على عذابه، صار في ذلك فضيحة عظيمة له ففي ستره رحمة من الله بالميت(٣).

* * *

(١) تحفة الأحوذي للمباركفوري ٦/٤٩٦ .
(٢) مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين رحمه الله ٢/٣٢ .
(٣) مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين رحمه الله ٢/٣٢ .

المبحث السادس
أمثلة على سماع أصوات المعذبين

هناك وقائع كثيرة ذكرها أهل العلم تدل على سماع أصوات المعذبين في قبورهم أفردتها بهذا المبحث لأمور هي:

أولاً: أنه بعد تحقيق مسألة سماع أصوات المعذبين وذكر أقوال أهل العلم في ذلك أتضح أنه لا يوجد ما يمنع ذلك في الشرع.

ثانياً: أن الذين ذكروا هذه الوقائع أئمة كبار ذكروها بأسانيدها.

ثالثاً: أن المثال يبرهن على المقال، فتلك الحوادث تقوى ما ذهب إليه أهل العلم في هذه المسألة، وتلك الوقائع كانت على صور مختلفة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض حديثة عن حال الميت، وعذاب القبر: "... وقد يرى خارجًا من قبره، والعذاب عليه وملائكة العذاب موكلة به، فيتحرك بدنه ويمشي ويخرج من قبره، وقد سمع غير واحد أصوات المعذبين في قبورهم، وقد شوهد من يخرج من قبره وهو معذب، ومن يقعد بدنه أيضًا إذا قوي الأمر لكن هذا ليس لازمًا في كل حال ميت؛ كما أن قعود وبدن النائم لما يراه ليس لازمًا لكل نائم، بل هو بحسب قوة الأمر"(١).

وقد أورد ابن أبي الدنيا روايات كثيرة في ذلك اخترت منها ثلاث صحيحة الإسناد، وقد ذكرها غير واحد من العلماء أيضًا وقد أشرت إلى مظآنها والروايات هي:

أولاً: عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: بينما راكب يسير بين مكة والمدينة، إذا مر بمقبرة، فإذا رجل قد خرج من قبره يلتهب نارًا مصفداً بالحديد، فقال: يا عبد الله انضح، يا عبد الله انضح، قال وخرج آخر يتلوه، فقال: يا عبد الله لا

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/٥٢٦ .

تنضح، قال: وغشي على الراكب، وعدلت به راحلته إلى الموج[١]، قال وأصبح قد ابيض شعره حتى صار كأنه نعامة[٢].

قال: فأخبر عثمان بذلك، فنهى أن يسافر الرجل وحده[٣].

ثانيًا: عن إسحاق بن إسماعيل، عن سفيان، عن داود بن شابور، عن أبي قزعة – رجل من أهل البصرة – عنه أو عن رجل قال: مررنا بعض المياه التي بيننا وبين البصرة، إذ سمعنا نهيق حمار، فقلنا: ما هذا النهيق؟ قال: هذا رجل كان عندنا، فكانت أمه تكلمه بالشيء، فيقول انهقي نهيقك، فلما مات سمع هذا النهيق عند قبره كل ليلة[٤].

ثالثًا: عن أبي بكر المديني عن ابن عفير عن يحيى بن أيوب عن ابن الهاد عن محمد بن إبراهيم عن الحويرث بن الدباب قال: بينما أنا بالإنابة[٥] إذ خرج علينا إنسان من قبر يلتهب وجهه ورأسه نارًا في جامعة من حديد فقال اسقني وخرج إنسان آخر في إثره يقول لا تسقي الكافر فأدركه فأخذ بطرفي سلسلة فكبه ثم خرج حتى دخلا القبر جميعًا فقال الحويرث فنفرت الناقة لا أقدر منها على شيء

---

(١) في الروح ص٩٠: (العرج) بالعين.

(٢) في الأهوال ٦٢: (ثغامة).

(٣) كتاب القبور، لابن أبي الدنيا، تحقيق: طارق العمودي، ص٩٣ وما بعدها. حيث ذكر المحقق أن إسناده حسن، وذكر أن له شواهد فهو حسن، وانظر: الروح لابن القيم، ص٩٠، وشرح الصدور للسيوطي، ص١٧٥، وأهوال القبور، لابن رجب ص١١١ .

(٤) كتاب القبور، ص٩٧ قال عنه المحقق: إسناده جيد لولا التردد في راوي الخبر، وله شواهد يرتقي بها إلى درجة الحسن لغيره، وأورد كلام الأصبهاني عقب رواية القصة في كتاب الترغيب والترهيب ١/٢٩٢ حيث قال الأصفهاني: "حدث به أبو العباس الأصم إملاء بنيسابور بمشهد من الحفاظ وأهل العلم فلم ينكروه"، وانظر: البر والصلة، لابن الجوزي ص١٣٩ .

والروح، لابن القيم ص٩٤، والسنة، للالكائي ٦/١٢١٩، والترغيب والترهيب، للأصبهاني ١/٢٩٢ .

وشرح الصدور، للسيوطي ص١٨٣، وأهوال القبور، لابن رجب ص٦٣ رقم ٢١٧ .

(٥) هكذا في "الأصل"، وفي "من عاش بعد الموت"، و"الإصابة" (الأثاثة). وفي "شرح الصدور": (الأثابة).

حتى التوت بعرق الظبية فبركت فنزلت فصليت المغرب والعشاء الآخرة ثم ركبت حتى أصبحت بالمدينة فأتيت عمر بن الخطاب فأخبرته فقال يا حويرث والله ما أتهمك ولقد أخبرتني خبراً شديداً فأرسل عمر إلى مشيخة من كنفي الصفرا قد أدركوا الجاهلية ثم دعا الحويرث فقال إن هذا أخبرني حديثًا ولست أتهمه حدثهم يا حويرث بما حدثتني فحدثهم فقالوا قد عرفنا هذا يا أمير المؤمنين هذا رجل من بني غفار مات في الجاهلية فسألهم عمر عنه فقالوا يا أمير المؤمنين كان رجلاً من رجال الجاهلية ولم يكن يرى للضيف حقًا"(١).

* * *

المبحث السابع
أقوال وفتاوى أهل العلم المعاصرين في سماع أصوات المعذبين

تحدثت فيما سبق عن أقوال العلماء السابقين في سماع أصوات المعذبين، وفي هذا المبحث أسوق أقوال، وفتاوى أهل العلم المعاصرين في سماع أصوات المعذبين، وأقوالهم في قصة "المعذبين في سيبريا" التي ذكرها الزاندني.

أولاً: سئل فضيلة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله السؤال التالي:

يوجد رجل منزله قريب من المقبرة وهذا الرجل يقول إنه في آخر الليل يسمع أنينًا يأتي من المقابر هل ثبت مثل هذا في التاريخ؟

فأجاب فضيلة الشيخ: نعم نقل جماعة من العلماء أنه يقع هذا، يسمع عذاب بعض المعذبين نسأل الله العافية والنبي ﷺ مر على قبرين وسمع عذابهما وأخبر الناس بذلك عليه الصلاة والسلام فقال:

أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من البول، ولا

(١) كتاب القبور، لابن أبي الدنيا ص١٠٩، قال عنه المحقق إسناده حسن.

وانظر: من عاش بعد الموت، لابن أبي الدنيا ص٥٥ وأهوال القبور لابن رجب ص١١١ .

يتنزه من البول نسأل الله العافية وحدثني بعض الناس من نحو أربعين سنة أنه زار عمة له في المقبرة فسمع صياحًا في قبرها، وقد مضى عليها مدة طويلة من الموت، وقد أخبره الناس بذلك، فذهب ليتحقق الحقيقة فسمع ما سمع الناس نسأل الله العافية، وقد أخبر ابن رجب رحمه الله في أهوال القبور – كتاب لابن رجب يسمى أهوال القبور–(١) ذكر فيه جملة من هذه الأشياء ووقائع نسأل الله العافية ولا حول ولا قوة إلا بالله يُرى الله عباده العبر حين يُطلع سبحانه الناس، حين يطلع بعض الناس على هذه الأشياء من باب التذكير ومن باب التحذير ليعتبروا ويتذكروا نسأل الله السلامة، نسأل الله أن يكتب لنا ولكم العمل الصالح الذي ينجينا من عذاب القبر اللهم آمين نسأل الله العافية" .

٢– وسئل الشيخ الفوزان عن شريط الزنداني أصوات مخيفة وهذا نصه: انتشر شريطه بين الناس وهذا الشريط يزعم قائله وهم الروس الكفار وضعوا أجهزة تحت الأرض وسمعوا بعض أصوات البشر من الرجال والنساء؛ وعلّق على هذا الشريط الشيخ الزنداني يقول: نعم هذا صحيح. فماذا ترون في هذا الأمر؟ هل ينشر الشريط؟ وهل ينكر على من يوزعه؟ أفتونا مأجورين **الجواب**: أرى أن الشريط يتلف ولا يوزّع، وهذا فيه مجاوزات:

أولاً: أن عذاب القبر (من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله) من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، لأن أمور الآخرة من علم الغيب لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى فالتعذيب في القبر أو النعيم في القبر هذا من علم الغيب ومن أمور الآخرة لم يطلع عليها إلا الرسول ﷺ فإن الله يطلعه على شيءٍ من الغيب، قال الله تعالى: ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إلا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُول** ﴾ .

ثانيًا: هذا فيه ترويع للناس ربما يصيب بعض الناس بعقله إذا سمع هذا الشريط ففيه (ترويع للناس)، والنبي ﷺ يقول: "لولا أن لا تدافنوا لسألت الله أن

---

(١) هذا نص للفتوى للشيخ ابن باز رحمه الله رحمة واسعة، ويظهر أنها مسجلة صوتيًا لأن فيها تكرار.

يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع" الرسول ترك هذا ترك الدعاء (دعا الله) إن يسمع الناس عذاب القبر خوفًا عليهم، خوفًا من الترويع وهذا يأتي يروع الناس يوزع عليهم شريط. عذاب القبر تواترت الأدلة فيه، فنحن نعتمد على الأدلة ما نعتمد على أقوال الكفار والروس أو غيرهم، نعتمد على خبر الصادق ﷺ نؤمن بعذاب القبر. أما اللي "الذي" ما يؤمن إلا إذا سمع كلام الروس فهذا ليس عنده إيمان، نحن نؤمن بعذاب القبر ونتيقنه ونثبته ومن عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان به، يذكر في كتب العقائد هذا شيءٌ معلوم ومتيقن ومعتقد إن القبر فيه نعيم وفيه عذاب فلا حاجة إلى هذا الشريط.

ثالثًا: هو يزعم أن الروس أنهم وصلوا الطبقة السابعة من الأرض، هذا صحيح سبع طباق من الأرض ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ** ﴾ فطباق الأرض مثل طباق السماء هل أحد يخترق طباق السماء؟! فكيف يخترق طباق الأرض؟! حفّار يصل إلى الأرض السابعة إلى سجين كما يقول، لا يمكن هذا وهذا من الكذب والافتراء، حفَار يخترق السبع الطباق الأرض ويصل إلى الأرض السابعة هذا من الكذب والافتراء.

رابعًا: إن هذا الشريط ما هو صحيح أيش اللي "الذي" يدريك أن هذا أصوات أهل القبور ألا يكون أنه جاء عند ناس يزعقون ويتكلمون ويصايحون وسجلهم لأجل التموية والكذب، من الذي يأمن هذا. أنها الكفار جاءوا عند اجتماع أو عند ناس يصرخون أو أسواق فيها ضجيج وسجلوها وقالوا هذا عذاب القبر، من الذي يأمنهم فعلينا إننا نحذر من هذه الأمور وهذه الترويجات وهذه غلطة من عبد المجيد الزنداني إن كان صح أنه هو اللي "الذي" تبنّاها هي غلطة منه عف الله عنه وعنه الواجب عليه أن يترك هذا الشيء.

المرجع: شريط اللقاء المفتوح بجامع الإمام محمد عبد الوهاب الوجه (الأول).

٣- وسئل الشيخ سلمان بن فهد العودة حفظه الله.

تتداول المواقع الإلكترونية والصوتية شريطًا فيه تسجيل أصوات، يقال بأن علماء جيولوجيا قاموا بتسجيله في صحراء سيبريا، على أنه أصوات رجال ونساء يعذبون في قبورهم، التقطها فريق روسي بينما كان يسجل أصوات الذبذبات الحرارية تحت الأرض. والذي اختاره عدم التسليم لهذه الدعوى للأسباب التالية:

١– عذاب القبر حق، ثابت بالكتاب والسنة، وقد تكلم المصنفون في العقائد في هذا، وعنوا بسرد أدلته الصريحة، وغير الصريحة والرد على منكريه. وهو من علم الغيب، وليس من علم الشهادة، وإذا سلمنا بأن المسموع هو أصوات المعذبين، فقد صار يقينًا لا يختلف الناس في الإيمان به، وزالت الحكمة في ابتلاء الناس وامتحانهم بالإيمان بالغيب. وما ذكره بعض العلماء كابن أبي الدنيا، والسيوطي، وذكر طرفًا منه ابن تيمية، وابن القيم، وغيرهم من المشاهدات فما صحّ منها فهي حالات فردية، تتعلق بمن رآها أو سمعها، وليست ظاهرة أو قضية عامة كحال الشريط المذكور، على أن الحجة في مسائل الشريعة عند الاختلاف هي للنص الشرعي.

٢– هذه دعوى، لكل أحد الحق في ردها، إلا بدليل، وقد ورد في الحديث الصحيح عن أبي هريرة: كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة فقال النبي ﷺ: (تَدْرُونَ ما هَذا؟) قال: قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: (هذا حجر رُمي به في النار منذ سبعين خريفًا، فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها) رواه مسلم وغيره.

فلم يحر الصحابة جوابًا، ولو يقولوا شيئًا، بل وكلوا الأمر إلى عالمه، حتى أخبرهم النبي ﷺ، فمن أين لنا المصدر الذي نعتمد عليه بعد انقطاع الوحي، ووفاة النبي ﷺ؛ لنقول أنها أصوات معذبين؟

٣– ورد في حديث أنس رضي الله عنه قال: قال نبي الله ﷺ: (العبد إذا وُضِعَ في قبره، وتولى وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فأقعداه

فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ، فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله. فيقال: انظر إلى مقعدك من النار، أبدلك الله به مقعداً من الجنة، قال النبي ﷺ: فيراهما جميعًا، وأما الكافر أو المنافق فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس. فيقال: لا دريتَ ولا تليت. ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين)(١). هذا لفظ البخاري ومسلم بنحوه، وهذا دليل على أن الأصل أن الإنس والجن لا يسمعون صياح المعذبين ولا يحسون به.

٤- يقول تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً﴾(٢).

قال ابن عباس وأبو العالية وعكرمة والحسن البصري وسعيد بن جبير والضحاك يعني: صوتًا. والركز في أصل اللغة هو الصوت الخفي. وهذه الآية تدل بظاهرها على أنه ﷺ، ومن يصلح له الخطاب لا يحس بهؤلاء الذين أهلكوا، ولا يسمع لهم ركزًا.

٥- العبث بالأصوات والصور أصبح اليوم أمرًا في غاية السهولة، وفي هذا نوع من تعريض ثقة الناس بالدين وأهله للاهتزاز. وكم سمعنا من يدعي في شأن القبور وأصحابها ما يدعي، من أنه كشف القبر لعارض، ثم وجد النار والحريق، أو صُرف وجه المقبور عن القبلة أو ما شابه هذا ... وبتتبع الأسانيد يتبين أن فيها مجاهيل أو ضعفاء أو وضّاعين لا يوثق بهم ولا بنقلهم، وقد تتردد مثل هذه الحكايات على ألسنة الوعاظ دون تحرّ أو ثبت. وكم من قبور كشفت بسبب السيل أو غيره فلم يظهر من حال أهلها ونعيمهم أو عذابهم شيء، وذلك - والله أعلم -؛ لأن أمر البرزخ والقبر متصل بعالم الآخرة، ولا تطبق عليه قوانين المادة

(١) صحيح البخاري ٢/٢٠٥ رقم ١٢٨ .

(٢) مريم آية ٩٨ .

والحس، فيكون صاحب القبر منعماً أو معذباً، ولا يدري من حوله بما هو عليه.

٦- قد يرى المرء رؤيا بشأن أحد بعينه، تكون أمارة خير وبشرى، أو تكون بضد ذلك، والرؤيا جزء من ست وأربعين جزءاً من النبوة، فهي كشف من عالم الغيب، ولكن لا يجزم بها، وقد قال ﷺ لأبي بكر الصديق في شأن التعبير: أصبت بعضاً، وأخطأت بعضاً. وكان الإمام أحمد يقول: الرؤيا تسر المؤمن ولا تغره. وقد تكون عبرة لرائيها، لكن ليس لها صفة العموم ولا يتعبد سائر الناس بتصديقها والإيمان بها، إذ قد لا يعلم أكثرهم حال الرائي، وصدقه وأمانته.

٧- يقول تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾(١). وكفى بهذا القرآن حجة وعبرة، وحسبنا ما صح من خبر الصادق المصدوق ﷺ، والأحسن أن تحرك مشاعر الناس وعواطفهم بمواعظ الكتاب الكريم، وقوارعه وأخباره، بدلاً من هذه الظنون التي لا تثريب على أحد إن ردها أو كذبها؛ لأنه ليس عليها أثاره من علم الشريعة.

أنني أهيب بالعقل الإسلامي أن يفرق بين الغيب والأسطورة، فالغيب عالم آمنّا به بخبر الصادق، والعقل لا ينكره ولا يحيله، بل يشهد له في الجملة، أما الأسطورة فهي خرافة لا يشهد لها عقل ولا نقل.

والمؤمن وإن كان يؤمن بالغيب إلا أنه لا يبحر إلى ما لا يدل عليه دليل، ولذا لما قال كفار مكة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه: إن صاحبك يزعم أنه ذهب إلى بيت المقدس ثم عرج به إلى السماء .... قال: ولئن كان قاله لقد صدق. فسمي بالصديق من يومئذ. فتأمل كيف علّق التصديق بأن يكون النبي ﷺ قاله فعلاً؛ لئلا يكون الناقل متقولاً عليه. وأن يكون ثمة من تأثر بالشريط أو انتفع به فهذا لا يمنع من الحديث حول مصداقيته، وقد يقع أن يتوب عاصٍ بسبب حديث موضوع، فتحمد توبته، ويبين حال الحديث والله أعلم.

---

(١) المرسلات آية ٥٠ .

٤- وسئل الشيخ خالد المصلح حفظه الله:

هل ما كتب في بعض الصحف وتكلم به بعض الناس من أن هناك تسجيل صوتيًا لأناس تحت الأرض يصيحون فهل يمكن أن تكون هذه أصوات أناس يعذبون في قبورهم وهل هناك ما يدل على أنه لا يمكن سماع تلك الأصوات وبارك الله فيكم.

الجواب: بسم الله الرحمن الرحيم سماع صوت المعذبين في قبورهم أمر ممكن، وليس هناك ما يمنعه من الأدلة. وأما ما رواه البخاري (١٣٧٤) من طريق قتادة عن أنس أن النبي ﷺ قال: "وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس. فيقال له: لا دريت ولا تليت. ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليها غير الثقلين" فهذا نفي لسماع صوت خاص وليس لكل أصوات المعذبين في قبورهم، بل جاءت في صحيح مسلم (٢٨٦٧) من طريق أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري عن زيد بن ثابت قال: بينما النبي ﷺ في حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه إذ حادت به فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة وفي الحديث قال النبي ﷺ: "إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع منه. ثم أقبل علينا بوجهه فقال: تعوذوا بالله من عذاب القبر.

الحديث "فالنبي ﷺ سمع أصوات المعذبين، وهذا يدل على أن السماع من حيث الأصل ممكن لولا المحذور الذي ذكره النبي ﷺ. وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية إمكان سماع أصوات المعذبين في قبورهم، بل أثبت حصول ذلك، قال رحمه الله في مجموع الفتاوى (٥ / ٥٣٦): "وقد سمع غير واحد أصوات المعذبين في قبورهم" هذا من حيث المسألة ذاتها. أما قصة الباحثين الروس فلا أجزم بأن تلك الأصوات لمعذبين فقد تكون كذلك، وقد تكون أصوات لأشياء أخرى داخل الأرض، والله تعالى أعلم.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير البريات وبعد: ففي ختام هذا البحث الذي تناولت فيه مسألة مهمة كثر الجدل حولها وهي "سماع الأحياء لأصوات المعذبين في قبورهم" وقد درست هذه المسألة دراسة عقدية في ضوء الكتاب والسنة حيث خرجت بنتائج وتوصيات أجملها فيما يلي:

أولاً: النتائج:

أ- إن عذاب القبر ثابت وحق في الكتاب والسنة وعليه معتقد سلف الأمة.

ب- إن من حكمة الله تعالى البالغة وقدرته النافذة أنه قد يسمع الأحياء أصوات المعذبين في قبورهم.

ج- أنه قد دلت الشواهد التي يذكرها الثقات من أهل العلم على سماع الأحياء لأصوات المعذبين في قبورهم.

د- أنه ينبغي التثبت في كل ما يقال ويحكى عن سماع آحاد الناس لأصوات المعذبين في قبورهم فليس كل خبر يصدق.

ثانياً: التوصيات:

أ- على الدعاة إلى الله تعالى وطلاب العلم وأهل الوعظ التثبت فيما ينقل من أخبار عن أحوال القبور وأمور الغيب وعدم التسرع في نقلها أو إثباتها خشية الإساءة للدين والعبث بعقائد المسلمين فمع إيماننا بإمكانية سماع الأحياء للمعذبين في قبورهم من الأموات إلا أننا نتثبت في كل ما ينقل ويحكى في كتب التاريخ أو ينقله غير الثقات.

ب- العناية بمثل هذه المسائل العقدية التي توقظ القلوب وتزيد في الإيمان وتزجر من التمادي والعصيان.

ج- تربية النشء من خلال وعظهم بأمور الآخرة وتحذيرهم من عذاب البرزخ والنار.

هذا والله أعلم وصلى الله وسلم على الرحمة المهداة محمد بن عبد الله، وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين.

د/ علي بن موسى الزهراني
جامعة الملك سعود بالرياض
كلية التربية - الدراسات الإسلامية
dr-ali-m-m@maktoob.com

* * *

مراجع البحث

١- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، حققها وراجعها مجموعة من العلماء، وخرج أحاديثها محمد الألباني، الطبعة التاسعة ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، المكتب الإسلامي - بيروت.

٢- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد صالح الفوزان، الطبعة الثانية محرم ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.

٣- صحيح البخاري، للإمام الحافظ أبو عبد الله البخاري الجعفي، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

٤- صحيح مسلم، للإمام مسلم، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٥- مسند الإمام أحمد، طبعة مرقمة، مؤسسة التاريخ العربي، الطبعة الثانية سنة ١٤١٣هـ.

٦- اليوم الآخر – القيامة الصغرى، لعمر سليمان الأشقر، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، مكتبة الفلاح، الكويت.

٧- الرحيل، تأملات لما في الموت والقبر من العظات، لمحمد رياض الأثري، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٨- سنن النسائي، مع شرح السيوطي والسندي، دار الريان.

٩- إثبات عذاب القبر للبيهقي، تم التحقيق تحت إشراف د/ عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع.

١٠- التذكرة للقرطبي، تحقيق ودراسة د/ الصادق إبراهيم، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ، مكتبة المنهاج للنشر والتوزيع.

١١- أهوال القبور، لابن رجب، تحقيق خادم السنة المطهرة، أبو هاجر زغلول، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، بيروت، لبنان.

١٢- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب، عبد الرحمن الحنبلي، طبعة عام ١٤١٢هـ – ١٩٩١م، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع.

١٣- الروح لابن القيم، الناشر، مكتبة المدني ٦٩١ – ٧٥١هـ.

١٤- المختارات السلفية من شروح العقيدة الواسطية.

١٥- سنن الترمذي، تأليف محمد ناصر الدين الألباني، أشرف على طباعته والتعليق عليه زهير الشاويش، الناشر مكتب التربية الغربي لدول الخليج الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

١٦- تحفة الأحوذي، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا، بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٧- مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين رحمه الله.

١٨- كتاب القبور، لابن أبي الدنيا، تحقيق: طارق العمودي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، مكتبة الغرباء الأثرية.

١٩- الترغيب والترهيب، لأبي القاسم للأصبهاني، أيمن شعبان، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، دار زمزم بالرياض.

٢٠- الإصابة لابن حجر في ترجمة حويرث.

٢١- شرح الصدور في أحوال الموتى والقبور، للسيوطي، علق عليه عبد المجيد حلبي، الطبعة السادسة ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

٢٢- البر والصلة، لابن الجوزي، سنة ١٤١٤هـ، مكتبة السنة وغيرها.

٢٣- الأهوال، لابن أبي الدنيا، مجدي السيد، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، مكتبة آل ياسر بالجيزة.

٢٤- تفسير ابن كثير، للإمام أبي الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي، سنة ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، وطبعة: دار طيبة للنشر والتوزيع، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط: الثانية ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٢٥- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام أبي جعفر الطبري، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م، دار الأعلام، الأردن - عمان.

٢٦- النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين لابن الأثير، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية.

* * *